مع حسان فلسطين :

الشعر كما أريد أن يكون ...

حديث هام للأستاذ أبى الاقبال اليعقوبى

(الأستاذ أبو الاقبال اليعقوبى)

كان بين ضيوف القاهرة من شهرين الأستاذ أبو الاقبال سليم اليعقوبى الشاعر الفلسطينى أو « حسان فلسطين » كما يلقبه مواطنوه . . وكانت أيام إقامته فى القاهرة مثار جلسات شيقة طالما تنادر خلالها جمهرة من أصدقاء « المعرفة » ومعهم الضيف الكريم فى دار « المعرفة » بأشتات من الأحاديث الطريفة التى كانت عذوبتها وروعتها فوق ما يستطيع البيان أن يؤديه ، وما فى ذلك من ريب . فان الاستاذ اليعقوبى أحد أولئك القلائل من رجالات الشرق الذين أتيحت لهم أسباب التجوال فى شتى ممالكه ، وهو إلى ذلك صورة تجتمع فيها ألوان يتميز بعضها عن بعض ، فقد كان طالباً فى الأزهر ، ثم كان عالماً من خريجيه ، ثم كان أحد الدعاة الذين عصفت بهم أعاصير السياسة حتى دفعت به إلى « مالطة » ليأخذ نصيبه من الاعتقال أيام الحرب ، ثم كان إلى ذلك أحد الذين وضعت على كواهلهم بعض مناصب القضاء فى الآستانة على عهد الدولة العلية . . ثم أصارته الحوادث فى منصب الافتاء بمدينة « يافا » حتى إذا ما انصرفت فلسطين عن وضعها السياسى السابق واستحالت إلى دولة يحدها نظام الانتداب كان من حظ الأستاذ اليعقوبى أن تغربه « الظروف » عن منصبه ، وأن ينتهى به الأمر إلى أن يكون مدرساً فى مدرسة دينية ، قانعاً من نعمة الحياة بهذه المتعة التى يرتضيها « الشاعر » من خلجات نفسه ، راضياً أن يكون شعره خير غذاء لحواسه جميعاً . .

وليس من شك فى أن الأستاذ اليعقوبى جدير بأن يلقبه مواطنوه « بحسان فلسطين » فان لشعره قوة تفيض بسحرها على النفوس [illegible] قوة تعهد القلوب الضعيفة بأسباب الحياة

فاذا هي جريئة ضافية الجرأة، وإذا هي رافعة على عوامل الضعف معاول التمرد حتى تقوضها وتمحوها .. ولقد يكون من حق «المعرفة» أن تذيع لقرائها حياة « حسان فلسطين » حتى يتلمسوا ما فيها من ظواهر النبل ، وحتى يلموا إلى ذلك بناحية يستوعبون فيها صورة رجل من رجال الشرق النابهين ، والحق أن هذه الحياة جديرة بالذيوع .

وبعد ، فعسى أن يكون في ذلك الحديث الذي تفضل به الأستاذ اليعقوبي على أحد محرري « المعرفة » ما يشيع من ألوان تلك الحياة الرائعة .

* * *

الشعر كما أريد أن يكون :

قال الأستاذ اليعقوبي : « لا أحب في الشعر هذه الجوانب التي يتوفر بها عليه عديد من الشعراء .. جوانب الرثاء والمديح واستجداء الأكف . فان شعر الرثاء متى خرجنا به إلى موطن الحقيقة ألفيناعليه مسحة الجمود، كما أن شعر المديح يبدو لمن يستوعبه أنه قطع متراصة من الحجر الصلد ... وليس ذلك لأني أريد أن يبيد شعر الرثاء أو المديح ، وإنما أرجو من وراء تصويري لتلك الظاهرة أن يدرك الشعراء بأن خيالهم أسمى من أن يتتبع الأحياء والأموات خطوة خطوة ، وأن عليهم ألا يسجلوا من هذه الأسماء في قصائدهم إلا من احتمل اسمه وجهة من الخير ، أو صنيعا يستحق الاطراء عليه حياً ، ويستحق البكاء من أجله ميتاً .

لقد ابتذل الشعراء خيالهم إلى حد شنيع ، فالكثيرون منهم قد أوقفوا ذلك الخيال على متابعة الناس ، سواء منهم من تتصل حياته بالجماعة ، أو من لا تعرف الجماعة من أمره شيئاً .. وفي يقيني أن هذه الحالة تباعد عن الشعر سموه وجلاله .

أما شعر « الاستجداء » فأحمد الله على أنه لم يكن حتى اليوم بذي خطر ، ولكنه على أي حال قد خرج إلى الضوء ، فهنالك حشد من الشعراء لا ترى لهم نتاجاً إلا حين تقوم معه على .. مناسبة عامة تدعوهم إلى القول .. وفي هذه المناسبات طالما كد الشعراء قرائحهم حتى يصيبوا هناءة العيش ، ولكنهم لم يفطنوا إلى الحقيقة الخالصة الواضحة وهي أن الشعر لا تجدر له مواقف الرياء ، وأن هذه الظاهرة كانت بين العرب داعية تأخرهم في تصوير الروح الاجتماعي تصويراً شعرياً دقيقاً » .

شاعر لا يعرف الهجو :

واستطرد الأستاذ اليعقوبي : « ... لقد رأيت إذن أني لا أقدر هذا الشعر الفج الذي تجري به ألسنة الشعراء في الأفراح والمآتم والمناسبات .. ولكني لا أستطيع إلا أن أقول لك بأن هنالك رجالا لا حالة للشعر من أن يبعث بهم إلى الخلد .. هم أولئك الذين أسبغوا على أممهم — مجتمعة — من أياديهم ما يمسح عنها أوضار الشقاء .

وثمة ظاهرة أخرى في الشعر العربي أرى من حقي أن أفاخر — في صددها — بأنها لم

تنفذ إلى خيالى ، ولم تجد لها بين جوانحى مكاناً . . تلك هى ظاهرة الهجو التى تدفع بالشاعر الى ان يشبع أخصامه بالكلم المقذع والتقريع المرير . . . لقد كانت هذه الظاهرة أشنع ما فى الشعر العربى من وجوه . . ولكن العصر الحديث قد بدأ يقوضها وان لم يقض عليها حتى اليوم . وإنى كشاعر أستطيع ان اقول لك بأن كلمة واحدة من كلمات الهجو لم يجر بها لسانى ولم يسطرها قلمى . . »

كيف أضع قصائدى ؟ :

« . . تسألنى كيف أضع قصائدى ؟ فأجيبك أنى أتخير هدأة الليل لأخلو فيها الى قلمى . . فان صمت الليل البليغ كثيراً ما يجمع أشتات الحواس ، ويؤلف منها شعلة واحدة تسكب على الخيال ما يريده من ضوء . . . وترى انى الى ذلك أحب الحدائق حباً جماً ، لأنى حين اقتعد ذلك البساط السندسى وارسل الطرف فيما حوالى من زهر ودوح أستطيع أن أضع « قصيدتى » فى كثير من السهولة ، وأن أتخير الفاظها من ذلك الوحى المزدحم فى رأسى . . . ذلك الوحى الذى دفعته « الطبيعة الفاتنة » الى دفعاً .

الشعراء الذين أقدرهم . وسألت الاستاذ اليعقوبى : أى شاعر تقدر ؟ فأجاب :

« أقدر « البحترى » لأنه يجمع فى قصائده الى الكلم الفخم روعة الموضوع ودقة الوصف وقوة التصوير ، ولأنه الى ذلك شاعر غير مداح ، وغير متعنت ولا متطير ، فهو رصين رزين يعرف موقفه ويدرى كيف يقدر ما حواليه .

وأقدر « المتنبى » لا نه قد أربى فى شعر الحكم على الغاية ، ولأنه كان فى ذلك اللون من الشعر مجدداً لا يستطيع احد ان يقول بأن هناك من سبقه وكان فى مثل اقتداره وجزالته ، ولقد كان المتنبى شاعرا « متحضراً » يعنى ما يقول ويعرف كيف يقتنص قريسته فى يسر وإناة ، وحسبه تلك الميزة ليعرف الناس انه كان شاعراً فحلا ، وان شعره كان رائع الأثر قوى النفوذ .

وأرى قبل اختتام هذا الحديث ، أن أذكر لك إعجابى التام الذى لا يحد ، وتقديرى العميق الذى لا يوصف ، لمجلة « المعرفة » التى أرى بدايتها خيراً من نهايات . . فهل لك أن تسجل ذلك بالاصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن معشر المثقفين (بفلسطين) الذين يتتبعونها بشغف وشوق شديدين ؟ ذلك ما أرجوك القيام به ، واستحلفك بالله أن تسجل البيتين الآتيين الذين قلتهما فى « المعرفة » على ملأ من رجال العروبة ، ومسمع من أهل العلم والفضل . . . . حينما سئلت عنها ، فارتجلت :

قيل ما رأيك فى الصحف التى ... بعثت فى الشرق روح المعرفة ؟
قلت : صحف العلم خير إنما ... خيرها والله عندى « المعرفة »

وبعد فتلك أمانة حملتها الرجل ، ولعل الأستاذ الاسلامبولى ، لا يضرب بقلمه على البيتين كما هى عادته ، فى كل ثناء يوجه اليه ؟

على احمد عامر